

الفصل الثالث

خطب حقلية

١ - تأييد عمر بن عبد العزيز لابنه عبد الملك

البيان والبيان ٢ : ٢٧٠

دَفَنَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ابْنَهُ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَلَمَّا سَوَى عَلَيْهِ قَبْرَهُ بِالْأَرْضِ، وَجَعَلُوا عَلَى قَبْرِهِ خَشَبَتَيْنِ مِنْ زَيْتُونٍ: إِحْدَاهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ، وَالْأُخْرَى عِنْدَ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ جَعَلَ قَبْرَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَبِيلَةِ، وَاسْتَوَى قَائِمًا، وَأَحَاطَ بِهِ النَّاسُ، قَالَ:

«رَحِمَكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ، فَقَدْ كُنْتَ بَرًّا^(١) بِأَبِيكَ، وَمَا زِلْتُ مَذَّ وَهَبَكَ اللَّهُ لِي بِكَ مَسْرُورًا، وَلَا وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ مَسْرُورًا بِكَ، وَلَا أَرْجَى لِحَظِي مِنَ اللَّهِ فِيكَ مُنْذُ وَضَعْتُكَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي صَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ، فَعَفَّرَ اللَّهُ لَكَ ذَنْبَكَ، وَجَازَاكَ بِأَحْسَنِ عَمَلِكَ، وَتَجَاوَزَ^(٢) عَنْ سَيِّئَاتِكَ، وَرَحِمَ اللَّهُ كُلَّ شَافِعٍ يَشْفَعُ لَكَ بِخَيْرٍ مِنْ شَاهِدٍ وَغَائِبٍ، رَضِينَا بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَسَلَّمْنَا لِأَمْرِهِ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

٢ - خطبة لعمر بن عبد العزيز في تزويج أخته

العقد ٤ : ١٥٠

وعيون الأخبار ٤ : ٧٣

وأنساب الأشراف ٨ : ١٨٨

وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص : ٣٦

خطبَ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عُثْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أُخْتَهُ، فَتَكَلَّمَ مُحَمَّدٌ

(١) الْبِرُّ: الْوُضُوءُ الْمُخْبِنُ الْغَطُوفَ، يُقَالُ: بَرَّ وَالِدُهُ، أَي وَصَلَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَغَطَّفَ عَلَيْهِ.

(٢) تَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِ: عَفَا عَنْهَا وَلَمْ يُوَاجِهُهَا.

بكلام طويل^(١)، فأجابهُ عُمَرُ:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْكِبَرِيَاءِ^(٢)، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الرِّغْبَةَ مِنْكَ دَعَتْكَ إِلَيْنَا، وَالرِّغْبَةَ فِيكَ أَجَابَتْكَ مِنَّا، وَقَدْ أَحْسَنَ بِكَ ظَنًّا مَنْ أَوْدَعَكَ كَرِيَمَتَهُ، وَاخْتَارَكَ وَلَمْ يَخْتَرْ عَلَيْكَ. وَقَدْ زَوَّجَتْكَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ إِمْسَاكًا^(٣) بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَشْرِيحًا^(٤) بِإِحْسَانٍ^(٥)».

-
- (١) قال الجاحظ: «السُّنَّةُ فِي خُطْبَةِ النِّكَاحِ أَنْ يُطِيلَ الْخَاطِبُ، وَيَقْصُرَ الْمُجِيبُ». (البيان والتبيين ١: ١١٠).
- وقال الأصمعي: «كَانَتْ رَجَالَاتُ قُرَيْشٍ مِنَ الْعَرَبِ تَسْتَجِبُ مِنَ الْخَاطِبِ الْإِطَالَةَ، وَمَنِ الْمَخْطُوبُ إِلَيْهِ الْإِجَازَةَ».
- (عبرون الأخبار ٤: ٧٣، وانظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص: ٣٦).
- وقال العُتْبِيُّ: «يُسْتَحَبُّ لِلْخَاطِبِ إِطَالَةُ الْكَلَامِ، وَلِلْمَخْطُوبِ إِلَيْهِ تَقْصِيرُهُ». (العقد ٤: ١٥٠).
- (٢) الكبرياء: العظمة والملك.
- (٣) الإمساك: كناية عن استمرار الزَّوْجِية.
- (٤) التَّشْرِيحُ: التَّطْلِيْقُ وَالتَّخْلِيَةُ وَالتَّرْكَ.
- (٥) يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَمَا تَسْأَلُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَنْهِيٍّ بِإِحْسَانٍ﴾. (سورة البقرة: الآية ٢٢٩).